إيجاز الكلام لشدة المقام
في القرآن الكريم د. حسين علي طه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فيبقى القرآن الكريم رافدًا مهمًا من روافد البلاغة، وكنزًا من كنوز المعرفة، ومنهلًا عذبًا لاستقطاب العلماء والباحثين، وتبعًا لذلك كانت النتيجة، البحث والاستقصاء اللذين لم يتوقفا، ومازال البحث جاريًا للكشف عن بعض أسرار القرآن الكريم، ومن هنا كان موضوع الإيجاز من الموضوعات المهمة؛ إذ إنه أخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم وبصوره المختلفة، وكُتبت فيه دراسات كثيرة وقيمة، إلا أن دراستي للإيجاز في هذا البحث مقتصرةٌ على شدة المقام فكان العنوان (إيجاز الكلام لشدة المقام في القرآن الكريم).

فهذا العنوان يمثل مجالًا يستحق البحث والدراسة؛ لأنه جدير بالاعتناء والبحث والتحليل؛ لذا فإن أهمية الدراسة تأتي كونها تناولت دراسة تطبيقية لبعضٍ من آيات القرآن الكريم، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي، ومن خلال المقام والسياق للوقوف على جانب من بلاغة الإيجاز في الكتاب العزيز.

وجاءت الدراسة على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وفي النهاية خاتمة بأهم النتائج، وبعدها ثبت المصادر والمراجع، فكان المبحث الأول بعنوان إيجاز الكلام لشدة مقام التحسر والندم، والمبحث الثاني جاء بعنوان إيجاز الكلام لشدة مقام التضجر، والمبحث الثالث إيجاز الكلام لشدة مقام التوجع، ثم إن هناك أموراً لا بد من الإشارة إليها وهي:

١ـ إن الدراسة جاءت غير متوازنة المباحث وذلك لتباين عدد الشواهد في كل مبحث.

٢. جعلت الأولوية للمبحث الأكثر نصوصًا ثم الذي يليه ثم الذي يليه، وقُسمت النصوص القرآنية في كل مبحث على أساس علوم البلاغة: علم المعاني وعلم البيان

وعلم البديع، وإذا كان هناك تشابه في النصوص (أي في موطن الشاهد) في المبحث الواحد يكون التسلسل على أساس سور القرآن.

٣- إن بعض الآيات القرآنية لا يوجد فيها كلام على لسان من وقع عليه المقام الشديد بل مجرد إشارة وهذا من الإيجاز ومنها في قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الملك: ٢٧]، وختامًا فما هذا العمل إلا جهد أخلصت فيه النية والعمل لله وحده، فأرجو منه أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

توطئة:

الإيجاز:

الإيجاز في اللغة: من وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزًا، وأَوْجَزَ: قَلَّ فِي بَلَاغَةٍ، وأَوْجَزَه: اخْتَصَرَهُ. وكلامٌ وَجْزٌ: خَفِيفٌ [١].

أما اصطلاحًا: فقد اعتنى العرب بهذا الفن اعتناءً كبيرًا حتى عدوه البلاغة بأسرها، فعندما سئل أحدهم: ((ما البلاغة؟ فقال الإيجاز: فقيل ما الإيجاز؟ قال حذف الفضول وتقريب البعيد))[٢]، وذكره عبد القاهر الجرجاني فقال: ((لا معنى للإيجاز إلا أن يدلَّ القليل من الألفاظ على الكثير من المعاني، وإذا لم تجعله وصفًا للفظ من أجل معناه أبطلت معناه أعني أبطلت معنى الإيجاز))[٣].

أقسام الإيجاز عند البلاغيين:

اعتنى البلاغيون بالإيجاز، فذكروا قواعده وبَيَّنُوا أقسامه، فهم قَسَّمُوهُ على قسمين: أحدهما: الإيجاز بالحذف: ويتصف هذا النوع من الإيجاز بحذف شيء من التراكيب والألفاظ بشرط عدم الإخلال بالمعنى[٤]، وتكون هناك قرينة مقالية أو حالية تساعد القارئ في معرفة المحذوف وتقديره.

والآخر: إيجاز بلا حذف: وهو على ثلاثة أضرب، إيجاز قصر، وهو أن يقصر اللفظ على معناه[٥]، وإيجاز تقدير: ويراد به الذي يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه[٦]، وإيجاز الجامع وهو ما دَلَّ لفظهُ على معانٍ متعددة[٧].

المقام:

المقام مجموعة من الظروف تقتضي إيراد الكلام على تركيب خاص يتناسب والحال التي تقتضي هذا التركيب، فمثلا لو كان المخاطب منكراً لخبرٍ ألقيَ اليه اقتضى المقام ايراد مؤكدات لهذا الخبر بحسب شدة هذا الانكار، وكذا الحال لو احترق شخص واصبح في شدة ماذا عساه أن يقول ؟ هل يستطيع البسط في الكلام أم يحاول أن يطلق أوجز عبارة لطلب النجدة والغوث، وهذا الذي يمكن أن نطلق عليه سياق الموقف ((وقد عقد الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) مبحثًا عن سياق المقام ثم توالت الدراسات ولا سيما دراسة الدلالة السياقية للقرآن الكريم المتمثلة بكتب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم)) [٨]، وقد عدَّ الزركشي مقام الآيات من أسباب معرفة الإعجاز القرآني لذا نجد أن علماء البيان راعوا أهمية المقام في كشف أسرار التعبير القرآني [٩].

فنجد الكوراني في تفسيره يختار جمع الجمع فيقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ ﴾ [المرسلات :٣٣] لأنها ابلغ لمقام المبالغة فقال ((وجمالات ابلغ ، وأوفق بالمقام)) [10] ،هذا المقصود بالمقام في هذه البحث وهو الذي قامت عليه الدراسة.

المبحث الأول

إيجاز الكلام لشدة مقام الندم والتحسر

الندم والتندم بمعنى التحسّر، وهو أن يتَّبع الإنسان أمرًا ندَمًا[١١] على فعل ما قال تعالى: ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[الحجرات: ٦]، والحسرةُ: التلهُّف على الشيء الفائت، وهي انكشافُ الأمرِ في الجزع وقلَّة الصبر، والمُحَسَّرُ المُحَقَّر، كأنّه حُسر، أي جُعِل ذا حَسْرَة[١٢]، وهي أيضاً أشد الندم قال النيسابوري: ((والحسرة: شدّة النّدم حتى يحسر كالحسير البعير المعيي)) [١٣] أي: من الإعياء وهو شدة التعب أي: الانقطاع، ومما تقدم يمكن لنا القول أن للندم درجات، والتحسر هو أشد الندم وهو أن يبلغ الإنسان مبلغًا لا يمكن له فعل شيء.

ومنه ندم ابن آدم على قتل أخيه قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١].

فقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذه الآية وردت في سياق الحسد، والذي دفع ابن آدم إلى أن يقتل أخاه، حتى إذا قام بالفعل أخذته الندامة والحسرة، فقال ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾، قال أبو السعود: ((هي كلمة جزع وتحسر))[١٤] وهي تقال عند حلول الدواهي والأمور العظام وهي أكثر دلالة على الندم والتحسر، كيف لا وهو الذي يقول بعد نداء الويلة كما أخبر القرآن عنه: ﴿ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾، وهذا التعبير الوجيز ينم عن أنفاس حزينة وحسرات عظيمة، سببها شدة المقام الذي يعيشه القائل (الجاني)، الذي ظهر له من ضعفه وجهله ما كان غافلاً عنه وهو يرى الغراب كيف يبحث في الأرض ليواري أخاه[١٥].

فالسياق يجعل القارئ يحبس أنفاسه حتى لتجده يتلمس الحزن والحسرة والندم، ولاسيما إذا عرف أن القاتل كان يحمل أخاه على عاتقه مئة سنة ـ كما تذكر بعض المصادر ـ لا يدري ماذا يصنع به حتى رأى الغراب يدفن أخاه [١٦]، وهذا الأمر غاية في الشدة، فالقاتل امتلك القدرة على القتل لكنه عجز عن فعل الغراب.

فالسياق التعبيري للقرآن الكريم عبر عن هذا الندم والتحسر بالنداء، وبأسلوب مجازي جعل (الويلة) بمنزلة المنادى، فجاء بأدق الألفاظ إذ قال ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ﴾ نادى (الويلة) ولم ينادِ (الويل)؛ لأن (الويل) حلول الشر، في حين (الويلة) تعني الفضيحة والبلية، وقد يراد منها التفجع، وهذا يدل دلالة واضحة على العجز والشدة واللذين بلغا بصاحبه مبلغه وما قوله ﴿ أَعَجَزۡتُ ﴾ ـ الذي ورد بأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى الإقرار والتحسر[١٧] ـ إلا دليلاً على العجز عن فعل أي شيء، وهذا التعبير أحد البنى الأساسية في بيان فظاعة الأمر وشدة المقام، فضلًا عن الدقة القرآنية في استعمال لفظ ﴿ سَوۡءَةَ ﴾ وإذ جاءت بأسلوب مجازي وهي إما قصدت سوءة الميت وهو من اطلاق الجزء وارادة الكل، أو كأن الميت كله سوءة فلا يجوز أن يتكشف بل يجب أن يوارى في التراب.

ثم جاء التأكيد على الندم بأسلوب غاية في الدقة ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾، إذ إنَّ التعبير يدل على تمكن الندامة من نفس القائل وهي أبلغ من (نادماً)، وهذا الأسلوب ورد كثيرًا في القرآن ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥] [١٨]، أي: ندم على ما اقترف من خطأ في حق أخيه إذ رأى الغراب يحتفل بإكرام أخيه الميت، وما تقليده للغراب إلا مبدأ الندامة[١٩]

وخلاصة القول إن الإيجاز في الآية جاء لتدل على شدة المقام إذ جعلت الجاني مكبلًا مشدوهًا عن القول والفعل وحتى عن التفكير فلم يستطع القول سوى هذه الكلمات، فضلا عن الآية بسياقها وأساليبها وتراكيبها جاءت لتحمل أشد التحذير من الاقدام على مثل هذا الفعل، ولتدل على عظم حرمة دم الانسان البريء.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[يس: ٥٢]

الآية القرآنية وردت في سياق الإخبار عن هول يوم القيامة، ومما لا ريب فيه أن السؤال يكون بعد البعث بدلالة الآية السابقة أنهم يخرجون ﴿ مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] اي: يخرجون سراعًا[٢٠]، وبدلالة الفعل الماضي ﴿ بَعَثَنَا﴾ إذ جاء فعل البعث بصيغة الماضي؛ للدلالة على أن البعث حاصل لا محالة، وأنه كأنه وقع وحصل ما حصل من هول يوم القيامة، وهذا يدل على هول الموقف وشدة المقام، لذا نجدهم من شد المفاجأة يوجزون قولهم ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ قال الطاهر بن عاشور: إن هذه الآية ((جاءت في التحسر والتعجب من حصول البعث))[٢١]، فالآية صورت لنا رد فعل المشركين والتي أوضحت أنهم تفاجؤوا بيوم المحشر إذ إن هؤلاء لما شاهدوا ذلك اليوم العصيب قالوا ﴿يَٰوَيۡلَنَا ﴾ .

ثم إننا نجد الآية اشتملت على إيحاءات بلاغية، إذ ابتدأت بياء النداء التي تنادي من ليس له عقل (الويلة)؛ لإرادة التنبيه وسُبقت بالفعل الماضي (قالوا) علمًا أن هذا لم يحصل بعد ؛إنما جاء ليدل على تحقق الوقوع فضلًا عن الاستفهام بـ (من) المستعمل في التعجب والتحسر من تلك اليقظة التي اخرجتهم على موقف مفزع(٢٢).

ثم إن التركيب ﴿ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ و((المراد بالمرقد حينئذ موضع الموت أي: القبر، لا موضع الرقاد وهو النوم؛ فقد شبه الموت بالرقاد في عدم الحس أو عدم النفع، ثم استعير لفظ (الرقاد) بعد التناسي والادعاء للموت، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت (مرقد) بمعنى مكان الموت، وهو القبر على سبيل الاستعارة التبعية، وإن قدر المرقد مصدرًا ميميًّا بمعنى (الرقاد) واستعير للموت كانت الاستعارة أصلية؛ لأن اللفظ المستعار حينئذ اسم جنس غير مشتق))[٢٣].

فالصور البلاغية أتحفت النص بالإيحاء الكافي الذي يجعل القارئ كأنه ينظر إلى تلك النفوس التي انتابها الشعور بالخوف والإحساس بالشدة من خلال دلالتها السياقية، إذ إن المرقد هو الممات فشبهوا حال موتهم بحال نومهم وهذا أبلغ من قولهم (من بعثنا من مماتنا)، ثم إن هذا التعبير يتضمن سؤالهم عن الفاعل للبعث فجاءت الإجابة بأبلغ أسلوب من الملائكة يذكّرونهم بفعلهم حين كانوا يكذّبون الوعيد تقريعًا لهم مع تضمن الإشارة إلى الفاعل ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾، وهذا التعبير جاء بسياق الخبر اللازم الفائدة؛ لأنه كان معلوماً لهم سابقاً من خلال وعيد الرسل لهم، فضلا عن إيجاز الحذف في هذه الإجابة، فمعناها أي: تقول لهم الملائكة هذا ما وعدكم الرحمن إكمالًا للتحسر، وهذه النكت البلاغية والبنى التعبيرية هي إشارات الى الحالة النفسية التي انتابت نفوسهم وجملة ﴿ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ عطف على ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ وهي أيضًا مستعملة في التحسر على تكذيبهم الرسل حين كانوا يخبرونهم في حياتهم الدنيا [٢٤].

من المواضع التي يوجز فيها الكلام بسبب شدة المقام ما جاء في سورة الفجر﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤]، هذه الآية مرتبطة بما قبلها أشد الارتباط وهي قوله تعالى ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]: فالآية جاءت بأسلوب الخبر، وهي تخبر عن حال الكافر يوم القيامة وهو ((يقول نادما متحسرا يا ليتني قدمت عملا صالحا ينفعني في آخرتي لحياتي الباقية))[٢٥]، فهذا تصوير ناطق يشعر به من خسر عمله من تفاهة الحياة الدنيا، فيتمنى لو أنه قد قدم من العمل الصالح ما يستفيد به في هذه الحياة الباقية

التى يشعر أنها الحياة الحقة الدائمة، فلا عجب إذا أفصحت الوجوه عما تحس به النفوس، وأن نرى وجوها تتلألأ ابتهاجًا ونورًا، ووجوهًا قد خبا ضوؤها، وأظلمت[٢٦].

ولما كان الندم يقتضي أن يعمل الإنسان ما ينافيه بين أنه ليس هناك إلا إظهار الندم فجاءت على سبيل الإيجاز قوله: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ فجاءت جملة مستأنفة وهي جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يقول الإنسان في ذلك اليوم أو هي بدل اشتمال من قوله ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ والمعنى يتمنى الخير والعمل الصالح لحياته الباقية (الآخرة) فالتحسر والندم والإقرار بأن ما فات هيهات أن يعود واضح ولفظ (أنَّى) للبعد، و(ليت) للتمني في البعيد والمستحيل، والإنسان يخصصه السياق بمن تصدق عليه الآية[٢٧].

فالألفاظ تدور حول الشدة والعنف من العذاب المفزع حتى يجعله يتذكر ما فاته، فالمقام الشديد ينتج عنه إيجاز في الكلام شديد فهي صورة مفزعة تحث على الاعتناء بدلالة (يا) النداء واللام في﴿ لِحَيَاتِي ﴾التي جاءت للعلة أي قدمت الأعمال الصالحة لأجل أن أحيا في هذه الدار، والمراد: الحياة الكاملة السالمة من العذاب؛ لأن حياتهم في العذاب حياةُ هموم وآلام وهذا قمة الندم والتحسر[٢٨] فضلا من التراكيب الأخرى التي اشتمل عليها النص والتي تعرضنا لها.

ويقدم القرآن الكريم صورة حسية، تصور تخاصم الأتباع والزعماء من الكفار يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

فقد جاء النص ليركز على تبرؤ المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة فضلًا عن تمنيهم العودة الى الدنيا ليعلنوا البراءة أيضًا، ومن شدة المقام وهول الحساب أوجزوا قائلين: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾ فالندم والتحسر واضح بدلالة تكملة الآية، وهو الذي علق عليه الزمخشري قائلاً: ((ومعناه أن أعمالهم تتقلب حسرات عليهم فلا يرون إلَّا حسرات مكان أعمالهم))[٢٩].

ثم إن (لَوۡ) في قوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ ﴾ مستعملة في التمني، وأصلها الشرطية حُذف شرطها وجوابُها إيجازًا، وسَدَّ المصدر مسد الشرط والجواب، وتقدير

الكلام (لو ثبتت لنا كرة لتبرأنا منهم) وانتصب ما كان جوابًا على أنه جواب التمني﴿ كَرَّةً﴾، وشاع هذا الاستعمال حتى صار من معاني (لو) وهو استعمال شائع وأصله مجاز مرسل مركب، وهو في الآية مرشح بنصب الجواب، واستعيرت للتمني مجازًا بعلاقة اللزوم، وسر المجيء بـ (لو) للتمنى، وهى تدل على الامتناع، إشعار السامع من أول الأمر بامتناع هذا المتمنى واستحالة وقوعه، و(الكَرَّة) الرَّجعة إلى محل كان فيه الراجع وهي مرة من الكرِّ ولذلك تطلق في القرآن على الرجوع إلى الدنيا؛ لأنه رجوع لمكان سابق، وحذف متعلِّق (الكَرَّة) هنا؛ لظهوره[٣٠]، وهو من الإيجاز في النص أيضا، و((الكاف في ﴿ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾ للتشبيه استعملت في المجازاة؛ لأن شأن الجزاء أن يماثل الفعل المجازي وهذه الكاف قريبة من كاف التعليل أو هي أصلها وأحسن ما يظهر فيه معنى المجازاة))[٣١]، فالكلام الموجز في التعبير جاء ليناسب شدة الخطب؛ ليكون اداة نقل لمشاعر الخوف والهلع يعززه تكملة الآية﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾، إذ جاءت لفظة (حسرات) في محل نصب مفعول ثالث لـ (رأى)؛ لأنها من رؤيا القلب ليصبح المعنى تنقلب أعمالهم حسرات عليهم فلا يرون إلّا حسرات مكان أعمالهم ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وهذا كلام مستأنف يبين حالهم بعد دخولهم جهنم، إذ أصل الكلام (وما يخرجون من النار) لكن عُدل إلى الاسمية ليفيد الثبوت والدوام والتأكيد على نفي خروجهم منها، والذي يعضده الضمير (هم) الذي يدل على قوة أمرهم فيما أسند إليهم [٣٢].

وإزاء هذه الصورة يتجلى لنا مصير كل من يجعل لله ندًا، ثم لابد من الإشارة الى دقة القرآن في استعمال المفردة إذ جاءت (حسرات) بصيغة الجمع، فإذا كانت الحسرة هي أشد الندم فما بالك بالحسرات هذا غاية في شدة الموقف.

وتَرِدُ شدة المقام أيضًا في مشاهد يوم القيامة وصفًا لحال المشركين من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥٤].

الآية وردت في سياق سؤال المشركين عن يوم القيامة، وما يحصل للناس فيه على سبيل السخرية والاستهزاء، فجاء الجواب بهذه الآية التي تصور حالهم بدلالة ﴿

لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ وبين حالهم وهم لا يستطيعون أن ينبسوا بكلمة واحدة في الموضع ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ قال الزمخشري: ((فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخاً ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندامة والحسرة في القلوب))[٣٣]. وقال أبو السعود: ((أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الإفراد أيضًا لإفادة تهويل الخطب بكون الإسرار بطريق المعية والاجتماع))[٣٤]، وفي هذه الحال يتمنى ذلك الظالم أن يفتدي بكل ما في الأرض من متاع، وكل ما يملك ولو أنه يخرج عريانًا من كل ذلك السلطان العريض الذي ملك به الأرض كلها، فلا يجد في مواجهة العذاب القدرة على التكلم بل يكتفي بإسرار الندامة، الذي دعا اليه شدة الموقف وهول المقام[٣٥].

إذ إن الآية تكملة لسابقتها ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣] إعلاماً لهم بهول العذاب؛ لذلك حُذف متعلق(افتدت) والمعنى (لافتدت به من العذاب)، ثم إن لفظة ﴿لَٱفْتَدَتْ﴾ وردت بصيغة الافتعال ولم يقل (فدت) أي لتكّلفت فداها بأي شيء، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾، والتعبير عن الإسرار المستقبلي بلفظ الماضي بالأسلوب الخبري؛ لتحقق الوقوع، أي: المعنى سيرون العذاب[٣٦]، فضلًا عن إسرارهم للندم، يعني عدم الكلام وهذا غايةٌ في الإيجاز.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢]، الآية وردت ضمن سياق افتخار الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين، وإذ أوردت قصة الرجلين ضمن هذا الإطار العام، وجاء الإيجاز بسبب شدة المقام في الموضع ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ قال الطاهر ابن عاشور: ((وهذه حركة يفعلها المتحسر وذلك أن يقلبها أعلى ثم إلى قبالته تحسرًا على ما صرفه من مال في أحداث تلك الجنة))[٣٧].

فالقرآن الكريم صوّر لنا الموقف الذي يمر به الكافر من خلال دقة التعبير إذ إن الجارَّ والجرور ﴿ فِيهَا ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿ يُقَلِّبُ ﴾، كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق، وعُدي بـ (على)؛ لأنه ضُمن معنى: يندم، إي: ضُمن ﴿ يُقَلِّبُ ﴾ معنى (يندم)؛

لأن النادم يفعل ذلك، والضمير في قوله ﴿ فِيهَا ﴾ يعود على عمارة جنتيه للدلالة على أن الندم بسبب الأفعال الاختيارية التي لم تبلغ الغاية المرجوة منها، فضلًا عن إن الفعل ﴿يُقَلِّبُ﴾ ورد بصيغة المضارع ليدل على استمرار الحركة والذي جاء التعبير بأسلوب الكناية ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ الذي انبثق معناها من الاستعارة المكنية وهي ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ فقد أحدثت صورة في ذهن السامع كأنه ينظر إلى المشهد بكل تفاصيله، إذ إن الكناية لها القدرة على تقريب الأشياء إلى الذهن، فالصورة الكنائية ومعها الاستعارة جسدت الحالة النفسية لهذا الكافر المتأثر بتدمير الجنتين، فاستعار الإحاطة وهي أصلها من أحاط به العدو، وحذف المستعار (العدو) وبقيت الاحاطة شيئًا من لوازمه؛ ليساهم بقوته التعبيرية على التعميق لمعنى الجنتين؛ لأن الإحاطة أتت على ثمارها وهي أَنْفَس ما في الجنتين، ثم يتصاعد مشهد الموت ليصل في تأثيره ليصف ما آلت إليه الجنة ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ وقد سقطت سقوفها على جدرانها فأصبحت خرابًا[٣٨]، لذا فإن شدة المقام ظهرت من خلال التعبير باللازم وهو تقليب الكفين، وأورد الملزوم وهو التحسر والندم[٣٩]، فتقليب الكفين جاء عنوانًا يجسد إيحاء لطيفاً يناسب السياق والحالة النفسية يتمثل في حركتها التي توحي بفراغ الكفين بعد قبضها على شيء، أي: غياب بعد حضور[٤٠].

ونستنتج من هذا التحليل أن المقام كان هو الكفيل في الإيجاز هنا، بل إنه كفيل بعدم التلفظ بكلمة واحدة فما أعظمها من شدة على نفس ذلك الكافر.

ويرد الإيجاز في الكلام أيضاً في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ [الملك: ٢٧] فالآية جزء من النظم القرآني، ومرتبطة بما قبلها، إذ إن الكفار كانوا يسألون الرسول الكريم عن المحشر بأسلوب الاستفهام الذي يحمل في طياته معنى التكذيب والإنكار قائلين: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك: ٢٥]، فتلا عليهم الرسول الآية ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ وكانوا من قبل يستبعدون هذا الحشر فلما عاينوه ﴿ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: إنهم لم يستطيعوا

الكلام وظهر ـ بسبب شدة المقام ـ على وجوههم الحزن والندم، وهذا أشد الإيجاز، قال الزمخشري معلقاً على هذا الموضع: ((يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات))[٤١].

ثم إن المتمعن في الفاء في أول الآية يجد أنها اقتضت جملة محذوفة تقديرها (فحل بهم الموعد) والفعل﴿ رَأَوْهُ ﴾ مستعمل في المستقبل علماً أنه ورد بصيغة الماضي؛ ليدل على أن الأمر يشبه الماضي في تحقق وقوعه، وعدم الوقوع واضح بدلالة سياق الحديث عن الآخرة، والمتأمل في دقة استعمال القرآن الكريم للفظة ﴿ زلفةً ﴾ يجده استعمالًا دقيقًا؛ لأنه اسم مصدر جاء الإخبار به للمبالغة في القرب، أي: رأوه شديد القرب واخذ ينالهم؛ لذلك اشتد الخطب عليهم فـ ﴿ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ والفعل ﴿ سِيٓـَٔتۡ﴾ مبني للمفعول حذف فاعله؛ لأن المعنى واضح والكلام على الحشر واستبعادهم له، فلما رأوا الحشر قريباً منهم ساءت وجوههم ذلك الوعد بمعنى الموعود، وأسند حصول السوء الى الوجوه لتضمنه معنى (كلحت)، أي: سوء شديد، وفي نهاية الآية قال: ﴿ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ أي: ﴿ تَدَّعُونَ﴾ أنه لا يكون فـ﴿ تَدَّعُونَ﴾ تضمنت معنى (تكذبون)، وإذا جاء العامل متضمنًا معنى عامل آخر يحذف معمول العامل المذكور ويذكر معموله ضمنه ليدل المذكور على المحذوف وهذا ضرب من الإيجاز. [٤٢]

ونخلص مما تقدم إلى أن أسلوب الإيجاز ألقى بظلالهِ على الآية، وهذا الأسلوب لمسة واضحة على شدة الموقف والكرب الذي فاجأهم في قربه، فعجزوا عن الكلام من هوله، فضلًا عن أنه يجعل النفس تذهب كل مذهب في تصور فظاعة المقام الذي يحل بالكفار وهذا أكثر يهييجاً لمشاعرهم.

المبحث الثاني

إيجاز الكلام لشدة مقام التضجر

الضجر معناه الاغتمام، ومنه ضجِر بما سمِع وممّا سمِع، أي: تبرَّم وقلق وضاق، واغتمَّ منه وضجر من طول كلامه، ومن نصائحه(٤٣).

وهذا المعنى وأثره في إيجاز الكلام ورد في سياق قصة معركة الأحزاب إذ قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فالخطاب في الآية الكريمة موجه للصحابة، وفحواه: أحسبتم أن تدخلوا الجنة بلا ابتلاء وقد جرت سنة الله أن يمحِّص عباده، وهذا حال الأمم قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء حتى يقول الرسول ومن معه لشدة ما حلّ بهم ونزل: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾؟ وهذا المعنى أكده الزمخشري إذ قال: ((أي: بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم؛ لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها))(٤٤)، فالزمخشري كان وصفه دقيقًا لحجم الشدة والمعاناة التي بلغت مبلغًا عظيمًا؛ لذلك نجد ان الكلام جاء بأسلوب وجيز جدًا﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ إذا ما قيس بحجم الشدة والكرب الذي أصابهم.

ثم إن المتأمل في دقة التعبير القرآني يجده استعمل الألفاظ استعمالًا دقيقًا إذ البأساء أكثر استعمالا في الحرب، والضراء أكثر ما تستعمل في الأموال، وأنت إذا ما نظرت في دلالة مادة البأساء في البيان القرآنيّ وجدتها لما أصاب الجسد(٤٥)، وإذا نظرت في مادة (الضراء) وجدتها لما أصاب المال(٤٦) (٤٧)، فضلًا عن أنَّ نص الآية جاء: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ ﴾ ولم يقل سبحانه: (مِثْل)؛ لأن لفظ (المَثل) فيه معنى المثلية فضلاً عن زيادة معنى الروعة والتعجب، وقال سبحانه: ﴿ مَّسَّتْهُمُ ﴾ التي تدل على تحقق وقوع الضر وبلوغه كلَّ مبلغ، وقال: ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ وفيه إيحاء بحقيقة الزلزلة؛ لأن عند النطق بها تتلمس الزلزلة ووقع صداها، وهذا من خصائص هذه اللغة

ومن عجائب القرآن، ﴿ وَزُلۡزِلُواْ ﴾ يُشير إلى معنى الزلزلة، وهو الوقوع المتكرر المتخالف، فلفظ (الزلزلة) يعني: تحرك الجسم من مكانه بشدة والتضعيف فيه (زل زل) يدل على تكرار الفعل، يعني: تكرار الوقوع[٤٨] والزلزلة لا يختص بها الأجسام فقط بل القلوب أيضاً.

وهذه من المصائب العظام التي استطالت عليهم وأطالت مدة العذاب حتى استبطأوا مجيء النصر، لذا جاء الاستفهام بـ (متى) الذي يحمل معنى الاستبطاء مجازًا، ((وسر التعبير بأسلوب الاستفهام في مقام الاستبطاء هو إظهار المعاناة من طول الانتظار وجذب انتباه السامع ودعوته للمشاركة والنظر فيما نزل وحل، ولا يخفى عليك ما للسياق في الآية الكريمة من إبراز وتصوير لحال هؤلاء القائلين وما حلَّ بهم من ابتلاء وشدة، جعلتهم يتطلعون إلى فرج الله ونصره، الذي طال انتظارهم له))[٤٩].

ومما تقدم نخلص إلى القول: إن المنعم النظر في الأساليب التعبيرية والتراكيب يجد أنها جاءت متلازمة لتجسد لنا بوضوح ضيق المقام التي جعلت الرسول ومن معه من أصحابه يوجزون في سؤالهم ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ بعد اختبار طويل وصعب انتهى بنجاح واصبحوا جديرين بالنصر والفوز؛ لأن أرواحهم قد تحررت من كل ما يكون حائل من القرب إلى النصر والله أعلم.

ورد الإيجاز بسبب شدة المقام في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

كأن المراد من سياق الآية الكريمة توجيه العتب أو اللوم للمؤمنين بسبب اتخاذ المشركين بطانة تجعلهم يفشون إليهم أسرارهم ويحبونهم، لكنهم بالمقابل يبغضون المؤمنين، وهذا بنص الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾ [آل عمران: ١١٨]، لذا كان من المناسب أن يوضح القرآن هذا البغض وهو ما صرحت به الآية، التي تضمنت ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ ﴾ قال المراغي في تفسيره: ((وضجر لنفرتهم من استماع كلامهم إذ سفهوا أحلامهم وشتموا أصنامهم، وقد فعلت العرب مثل هذا مع النبي _ ﷺ _ كما قال

﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾))[٥٠]، وهذا تعبير موجز يجسد تلك الانفعالات، إذ العضُّ شدُّ الشيء بالأسنان وهو من فعل المغضب الذي إذا نزل به شيء لا يقدر على تغييره، وهذا نتيجة لاضطراب بواطنهم، فعض الأنامل هو المعنى الظاهر وهذا المعنى ليس هو المقصود لذاته، وإنما المقصود ما يرتبط بهذه الحركة ويلازمها من مشاعر الضجر والحنق تجاه المؤمنين، وهو المعنى المكنى عنه بهذه الحركة[٥١]، والقرآن الكريم إنما ينقل الينا هذه الصور يقصد بها ((ما تشير اليه من المعاني الثنائية أو معنى المعنى. . . فنقل هذا الفعل الحركي أمام أعيننا لنتصوره ونعرف ماذا يقصد منه وهو الكناية))[٥٢] وهذا بدوره يدلُّ دلالة واضحة على شدَّة المقام والألم النفسي الذي يقاسيه المشركون وجاء التعبير عنه بأشدّ الإيجاز وهو عضُّ الأنامل، وهذا كقول الحارث بن ظالم المري[٥٣]:

فأقْتـــلُ أقوامًـــا لِئامًـــا أذِلَّـــةً يَعَضُّـون مـن غَـيْظٍ أصـولَ الأبـاهمِ

ثم إنَّ الغيظ غضب شديد جاء في لسان العرب ((الغيْظُ الغَضب، وقيل: الغيظ غضب كامن للعاجز، وقيل هو أَشدُّ من الغضَب))[٥٤]، لذا جاء تمام الآية ﴿ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ وهذا دعاء ورد بأسلوب الأمر، وفي هذا التعبير إيحاء بشدة الغيظ، ويحمل في طياته تطييباً لنفوس المؤمنين، وبث الرجاء فيها والاستبشار بوعد الله أن يهلك المشركين[٥٥]، وهذه التراكيب والأساليب جميعها تشير إلى معانٍ تتناسب مع السياق وتوحي بجلاء حجم البغض والسوء الذي يضمرونه في دواخلهم على الرسول ـ صلى الل عليه وسلم ـ ومن معه من المؤمنين.

من هذه النكت البلاغية ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩].

لو أنعمنا النظر في المقام الذي وردت فيه الآية نجده مقام شدة عظيمة، إذ إن النصوص القرآنية جاءت لتكشف لنا النقاب عن هول المحشر كما في قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا ﴾ [الكهف: ٤٨]، ثم جاء العطف بهذه الآية التي بينت الشدة

العظيمة التي يمرُّ بها هؤلاء الكفار كما اخبر القرآن على لسانهم: ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ قال العثيمين: ((يعني أثبتها عددًا كأنهم يتضجرون من هذا ولكن هذا لا ينفعهم))[٥٦]، إن هذه العبارة الموجزة حملت دلالاتٍ كثيرةً عن هول القيامة فضلاً عن الإفصاح بأن كل شيء مدون ومحفوظ.

ثم إن من يدقق النظر في قولهم الذي انماز بعدم الإطالة والتضجر من شدة الموقف، يجده ينم عن خوف وهلع، إذ ابتدأ بنداء ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا ﴾ وأصله نداء استعمل مجازاً بتنزيل ما لا ينادى منزلة من ينادى، فضلاً عن المبالغة في تأنيث (الويلة) لقصد الحضور[٥٧]، وكأنه يطلب النجدة منَّا، وعبارة ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ التي فصل فيها بين حرف الجر(اللام) والمجرور ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ باسم الاشارة ((وسبب هذا القطع مبني على المعنى؛ لأن المجرمين يصدمون بحصر الكتاب لجميع أعمالهم، وإغلاق أبواب العتب والاعتذار والنجاة أمامهم، فهم يريدون بقولهم هذا أن تقطع عن الكتاب صفته في دقة رصد أعمالهم وحصرها عليهم، فجاء الرسم موافقًا لما قصدوا من قولهم. . . فعملهم يومئذ متصل بهم، وأحصي عليهم، ولا مفرَّ لهم ممَّا صغر منه أو كبر؛ فلم يكن مجيء اللام في هذه الموضع التي قطعت فيه؛ لأجل إقرار الخبر وتوكيده، بل لأجل الرغبة في قطعه وإبعاده، وعدم الاتصاف به))[٥٨] وهيهات أن تنفك عنهم أعمالهم بل تبقى ملاصقة لهم فترديهم في نار جهنم؛ لأنه ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ إذ إن هذا النوع من التركيب الذي سبق بالاستفهام ينطوي على معنى التعجب؛ ليكون هذا الكتاب أحصى كل شيء، وما يزيد هذا التعجب ـ لمشوب بالخوف ـ الحذف، كأن المراد أحصى كلَّ فعلٍ أو هنةٍ، وهذا واضح بدلالة السياق؛ لأن إذا احصى الصغائر فمن باب أولى أن لا يغادر الكبائر، ثم ينتهي قولهم بتأكيد الشيء بما يشبه ضده ﴿ إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ أي كانت معدودة[٥٩]﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾.

ومما تم عرضه يمكن لنا القول إن الاستعمال المجازي، فضلًا عن الحذف وغيره مما اشتمل عليه قول المجرمين كان كفيلاً بثراء المعنى، وإيجاز اللفظ؛ لبيان شدة الضجر، لتذهب فيه النفس كل مذهب؛ وليكون المعنى أعم واوسع مما نتصوره، وهذا شيء من بلاغة القرآن.

ويقدم القرآن الكريم أيضاً إيجاز الكلام بسبب تضجر الابن من والديه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الأحقاف: ١٧].

إن المتأمل للآية الكريمة يجد أنها جاءت ضمن بيان حال الأبناء البررة والعاقّين لوالديهم وهذا التضاد ورد كثيرًا في القرآن، وفي هذا الموضع يخبرنا النص القرآني عن ذلك الابن الذي بلغ عقوقه مبلغه من الشدَّة حين أصمَّ سمعه وأغمض عينيه عن الحقِّ على الرغم من إلحاح الوالدين في النصح والإرشاد والدعوة إلى الإيمان بالله وحده ومد يد العون للخروج من الضلال الذي انغمس فيه فهو منزلق إلى جهنم، وهي دعوة ملؤها الحنان والشفقة والحرص على النجاة، ولما كانت هذه الدعوة بإصرار كان المقام شديداً على الابن الذي تنكَّب طريق الهداية الرافض لكل نصح يسمعه من الأبوين حتى أثار الشيطان أعصابه ونفخ أوداجه وملأ قلبه غضبًا وتضجرًا فقال عبارة موجزة لكن توضح تلك الشدَّة والتضجر ﴿ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾[٦٠] قال البقاعي في نظم الدرر: ((أي تضجر وتقذر واسترذال))[٦١].

فالناظر للنص يجده يمنح الصورة ميزة نلمحها من خلال ما فيه من مفردات وتراكيب، إذ إن لفظ (أُفٍّ) اسم فعل بمعنى أتضجر، وهي كناية عن أقل الأذى للوالدين وهو إيجاز في التعبير، لكن يدل على نفور وحرارة نفسية تملأ نفس المتضجر، فضلًا عن دلالتها على الشدة والضيق اللذين انتابا الابن، وهذا يؤكده تمام الآية كما أخبر القرآن ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ إذ جاء بأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى الإنكار والتعجب من قولهما، ثم إن الفعل في التركيب ﴿ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ الذي يدلُّ على الاستمرار والتجدد، أي: في كل وقت أن أخرج من القبر بعد أن أُصبِحَ رفاتًا ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾ وهذه جملة حالية جاءت قيدًا لمنتهى الإنكار، ويؤكد هذا كله نهاية الآية ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، أي: أباطيلهم التي سطروها لا حقيقة لها[٦٢].

وفي ضوء ما تمَّ عرضه نلمح أثر الكناية ﴿ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ وما معها من أساليب تعبيرية وبلاغية أدت إلى رسم صورة حسية مؤثرة تبين الحوار بين الابن وأبويه يوضح

مدى الشفقة والرحمة.

المبحث الثالث

إيجاز الكلام لشدة مقام التوجع

التوجع مأخوذ من الوجع بمعنى شيء عارض يصيب الجسم، قال الخليل ((الوَجَعُ: اسم جامع لكل مرض مؤلم))[٦٣] أي: ما يعتري الجسم من مرض أو أذى بدني[٦٤]، لذلك قال عمرو بن معدي كرب[٦٥]:

وخَيْـلٍ قـد دَلَفْـتُ لهـا بِخَيْـلٍ تَحِيَّـةُ بَيْـنهمْ ضَـرْبٌ وَجيـعُ

ومن صور الوجع في القرآن الكريم، ما أخبر به عن حال أهل النار وهم يقاسون العذاب ويستنجدون بأهل الجنة بسبب توجعهم من شدة الألم، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: ٥٠].

المتأمل لهذه الآية يجد أنها تحكي لنا واقعًا مؤلمًا موجعًا يعانيه الكافرون؛ لذلك نادوا أصحاب الجنة قائلين: ﴿ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ قال الرازي: ((وإنما طلبوا الماء خاصة لشدة ما في بطونهم من الاحتراق واللهيب بسبب شدة حر جهنم. . . ومما رزقكم الله قيل إنه الثمار وقيل إنه الطعام، وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد لهم))[٦٦]، وقال العثيمين: ((حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ وحين يمسهم الجوع المفرط والظمأ الموجع))[٦٧]، فالظمأ والجوع يدلان على شدة المقام كيف لا وقد أنضجت النار جلودهم وصهرت بطونهم والحميم يصب عليهم كما أخبر القرآن ﴿ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩ـ ٢٠] وبسبب شدة موقفهم لم يستطيعوا إطالة الكلام بل أوجزوا في الكلام.

ثم إن من يدقق النظر يجد أنه جرى الحوار بين الفريقين وسمع كل منهم الآخر ويجوز أن يكون ذلك مع رؤية واطلاع بينهم؛ ليكون الموقف أشد وأنكى، فاستعملوا التعبير ﴿ أَفِيضُواْ ﴾ تجوزًا ليدل على سعة العطاء كما في الحديث ((ويفيض المال فيكم))[٦٨] فضلًا عن أن استعماله أنسب للماء، ودلالةً على شدة حاجتهم له أكثر

من الطعام، ثم قالوا: ﴿ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ وهذا قمة الإيجاز؛ لأنه يشمل كل أنواع الأطعمة والأشربة غير الماء، فقالوا هذه العبارة لعدم قدرتهم على الإطالة في الكلام، وذكر أنواع الأطعمة وأنواع الأشربة بالتفصيل، ثم إن الطلب من أهل الجنة يحمل دلالة التعريض أن أهل الجنة اسخياء وكرماء[٦٩]، فجاءت الإجابة من أهل الجنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ((إنها إجابة قطعت آمالهم وخيبت رجاءهم حتى لا يبقى لهم أي أمل في الحصول على قطرة ماء من الجنة أو نعيمها))[٧٠].

وفي الخلاصة يمكن القول أن في هذه الآية تحتشد كل المعاني والإيحاءات على سهولتها وإيجازها لتترك أثرها الدلالي والتركيبي على حدٍّ سواء ليكون نسيجًا لغويًا يسهم في إثراء السياق ليدل بوضوح على شدة المقام ودوره في إيجاز الكلام وهذا واضح بجلاء من خلال تحليل الآية.

ومن الآيات الدالة على إيجاز الكلام لشدة المقام في التوجع إخبار القرآن الكريم في الآية: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، إن المسار العام للقرآن الكريم وفي أحايين كثيرة يذكر في سياقه حال أهل الجنة وما يبشرون به، ثم يعقب بذكر حال الكفرة وما يجدون من الآلام والأوجاع في دركات النار، وهذا النص القرآني جاء ضمن إحدى هذه السياقات القرآنية وهو يذكر قولهم ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴾، جاء في ظلال القرآن: ((وإننا لنكاد نرى من وراء صرخة الاستغاثة نفوسًا أطار صوابها العذاب، وأجسامًا تجاوز بها الألم حد الطاقة فانبعث منها تلك الصيحة المريرة))[٧١].

فالآية توحي بمشهدٍ ممتلئ بالشدة والأوجاع، وهذا تؤكده قراءة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ((يا مالِ))[٧٢] على الترخيم قال ابن جني: ((إلا أن في هذا الموضع سرا جديدا، وذلك أنهم –لعظم ما هم عليه– ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم؛ فكان هذا مواضع الاختصار ضرورة عليه))[٧٣]، فهذا النص أشار بوضوح إلى العلة البلاغية؛ لأن السامع يتحسس أن وراء هذا الحذف من ضيق الصدر، وغلبة اليأس ومعاناة شغلتهم عن تمام الكلمة[٧٤]، وقد أشار الأخفش إلى مثل هذا الحذف حين سُئل عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [الفجر: ٤]، فقال:

عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يَسْرِي، وإنما يُسرى فيه، نقص منه حرف[٧٥]، وهذا الأمر ـ أي التوجع ـ محقق بدلالة الفعل ﴿ وَنَادَوْاْ﴾ الذي استعمله القرآن بصيغة الماضي وهو على خلاف مقتضى الظاهر، و تنزيله منزلة المستقبل تحقيقاً لوقوع الأمر، وما يؤكد ذلك عبارة ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ إذ جاء اسلوب الأمر الذي يحمل معنى الدعاء يطلبون به الموت والخلاص من الكرب المتكرر، ثم إنهم قالوا ﴿ رَبُّكَ ﴾ ولم يقولوا (ربنا)؛ لأنهم آيسون من أن يقبل الله منهم قولاً ولا دعاءً لجرمهم الشنيع، وهذا يزيد من شدة المقام الذي هم فيه إذ انهم لم يوجهوا طلبهم إلى الله مباشرة بل خاطبوا مالك خازن النار[٧٦].

وهذا المشهد يوضح أن المجرمين من شدة كربهم طلبوا الموت، وحسب المنايا أن تكون أمانيا، وفي هذا التصوير دلالة عميقة على شدة الألم، فضلًا عن اليأس والغم فهي تجسد ما في نفوسهم.

ويرد الإيجاز القرآني بسبب شدة المقام في القرآن الكريم على لسان الكافرين وهم يُعذَّبون يوم القيامة كما صور القرآن الكريم إذ قال: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧].

لا يمكن لنا تسليط الضوء على المعنى البلاغي للآية دون معرفة المقام، فهي عطف على الآية السابقة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦] فالنص واضح في الإخبار عن حالهم ولا يحتاج إلى تعليق فلنتخيل كيف يكون الحال؟ فقد صوره لنا القرآن تصويرًا دقيقًا بقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ قال الرازي: ((وفيه إشارة إلى أن إيلامهم تعذيب لا تأديب))[٧٧].

فالآية تكشف لنا صورة الكفار وهم وسط النار وهي صورة مثيرة للتفكير العميق، حين نرى حال من كفر في هذا المنظر، فهو غاية في التعذيب والتحقير والإهانة أدى بهم إلى أن﴿ يَصْطَرِخُونَ ﴾ قائلين: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ فهم أوجزوا طلبهم يرددونه من شدة وجع العذاب، ويحسبون أن رفع الأصوات أقرب

إلى علم الله وإظهار لعدم إطاقتهم ما هم فيه لعل الله يخرجهم، فكان ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم فيه جميعًا لا يكفي التعبير عنه بالفعل المجرد (يصرخون) فجاءت التاء لتدل على المبالغة ليكون التعبير اكثر تناسبًا مع حالهم، فيخيل إليك غلظ الصراخ المتجاوب من كل مكان، والمنبعث من حناجر تلمح من ورائها صورة ذلك العذاب الغليظ [٧٨]وهم ﴿ يَصۡطَرِخُونَ ﴾ ((أي: يصيحون أشد الصياح للاستغاثة، أصله: يصترخون بوزن يفتعلون من الاصطراخ، والاصطراخ: افتعال من الصراخ، وهو الصياح بجهد وشدة، دخلت الطاء فيه للمبالغة))[٧٩]، فإبدال حرف (التاء) بحرف(الطاء)؛ لأن الطاء حرف اطباق مستعلٍ وحرف (التاء) مهموس، فالطاء أكثر تناسبًا في تصوير شدة العذاب وعظم الوجع الذي أصابهم.

ثم إن قولهم: ﴿ نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾ بيان لجملة ﴿ يَصۡطَرِخُونَ ﴾ وفي هذا التعبير زيادة تحسر على ما عملوه مع الاعتراف به، فضلًا عن أنهم لم يقولوا (نعمل صالحًا) وفي هذا لطيفة بلاغية تدل على زيادة في الإحساس وإشارة إلى ظهور فساد أعمالهم، فالكلام على تقدير (إنْ تخرجنا نعمل عملًا مغايراً لما كنا نعمله في الدنيا)[٨٠]، وجاءت الإجابة ﴿ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ فابتدأت بالاستفهام الذي ينطوي على التقريع والتوبيخ على ما فعلوه في حياتهم الدنيا وقد أطال الله عمرهم وجاءهم الرسول وقد أنذرهم فلم يستجيبوا فكان مآلهم الى النار[٨١].

وصفوة القول إن الصورة المؤلمة التي رسمها لنا القرآن الكريم ألقت بظلالها على السياق وأصبح من المسلَّم به أن شدة المقام والتوجع جعلهم يوجزون القول في طلب الغوث والنجدة.

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة البحثية الممتعة في رحاب القرآن الكريم وفي هذا الموضوع

البلاغي الشائق، لا بد من الوقوف على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وهي:

١ـ توصل البحث إلى أنه من الضروري بمكان أن لا يدرس النص القرآني بمعزل عن المقام الذي وردت فيه الآية، إذ إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو أساس البلاغة وروح الفصاحة، وهذا بدوره يساعد في التوصل إلى المراد من النص.

٢ـ اعتنى البحث بالموضوعات البلاغية الأخرى إلى جانب الموضوع الأساسي (الإيجاز) مثل المجاز والكناية وغيرهما؛ لما لها أثر مهم في إيضاح المدلول ومعرفة الوجه البلاغي.

٣ـ من خلال البحث نجد أن الإيجاز في هذا الدراسة كان من مقتضيات المقام، فضلًا عن إنه جاء ليخاطب العربي صاحب السليقة الذي يفهم حتمية المقام وأثره في التعبير بأسلوب المجاز ودوره في جمال التعبير.

٤ـ اثبت البحث أنَّ التحسر والندم وكذلك التضجر يختص بألم النفس، في حين التوجع يشمل ألم النفس والجسد.

٥ـ من الملاحظ المهمة في هذا البحث أن النصوص المدروسة وضمن هذا العنوان كانت جميعها خاصة بأصحاب النار.

٦ـ استعمال النداء كثيرًا سواء بالحرف (يا) أم بلفظ (نادى) وذلك لشدة الألم والتحسر والندم على شدة الموقف الذي يمرون به.

وفي الختام هذا ما استطعت التوصل إليه بتوفيق الله وكرمه، وما الكمال الّا لله وحده، وإن الإنسان محكوم عليه بالنقص، ولكن حسبي أنني لم أدخر جهدًا في هذا العمل، وأرجو أن أنال به أجرًا، ويحط عني به وزرًا، والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(١) ينظر: لسان العرب: ٤٧٧١/٦.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٧٩.

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٥٧.

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٩٧، و٢/ ١٨٧، وكتاب الصناعتين: ١٨٧، وسر الفصاحة: ٢٠٥، وكتاب الطراز: ٢/٤٩.

(٥) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، ٧٠، وسر الفصاحة: ٢١١.

(٦) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٣١٢، و ٣٦٧، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٤٢.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ٣/١٨١، و مُعْتَرَكُ الأقْرَان في إعجازِ القُرآن: ١/ ٢٢٤.

(٨) دقائق الفروق اللغوية : ٥٣.

(٩) ينظر: أثر البيان القرآني في اختيار القراءات القرآنية المتواترة في كتب توجيه القراءات ، أطروحة دكتوراه لحسن علي طه : ٢٥ .

(١٠) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، لأحمد بن اسماعيل الكوراني، أطروحة دكتوراه تحقيق الجوهرة بنت محمد العنقري: ٦١١.

(١١) ينظر: العين: ٣/١٣٤، و ٨/٥٣.

(١٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٢/٦٢.

(١٣) إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٢/٦٨٨.

(١٤) إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكَرِيم: ٣/٢٨.

(١٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/٤٤٤، وتفسير القرآن الحكيم: ٦/٢٧٨.

(١٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٢/١٦٨٥.

(١٧) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: ٦/٢٨٧.

(١٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/١٧٣.

(١٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/١٧٣.

(٢٠) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠/٥٣٣، و المنهاج الواضح للبلاغة ١/١١١.

(٢١) التحرير والتنوير: ٢٣/٣٧.

(٢٢) ينظر: البحر المحيط: ٩/٧٤، الاتقان في علوم القرآن: ٣/١٥١، والتفسير الثمين: ٧/٢٧٤.

(٢٣) المنهاج الواضح للبلاغة ١/١١١.

(٢٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٦/٢٩٢، ومفتاح العلوم: ٣٨٩، ومُعْتَرَكُ الأقْرَان في إعجازِ القُرآن:

٤١٥/٢، والتحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٣٧، وصفوة التفاسير: ٢٠/٣.

(٢٥) صفوة التفاسير: ٥٣١/٣.

(٢٦) ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٢٤.

(٢٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٢٢/٨، وفتح القدير: ٤٤٠/٥، التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢ /١٥٨.

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٩/٣٠.

(٢٩) الكشاف: ٢٣٨/١.

(٣٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٨/٢، من بلاغة القرآن ١٣٠.

(٣١) التحرير والتنوير ٩٨/٢

(٣٢) ينظر: الكشاف: ٢٣٨/١، والتفسير الكبير: ١٨٠/٤، وإرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكَرِيم: ١٨٧/١.

(٣٣) الكشاف: ٣٥٢/٢.

(٣٤) إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكَرِيم: ١٥٤/٤.

(٣٥) ينظر: تفسير الشعراوي: ٥٩٩١/١٠، والتفسير القرآني للقرآن: ٦/ ١٠٣١.

(٣٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩٧/١١.

(٣٧) التحرير والتنوير: ٣٢٧/١٥.

(٣٨) ينظر: البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية: ٨١، الكناية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه د. أحمد فتحي رمضان: ١٣٧، والمباحث البلاغية في تفسير الكوراني، أطروحة دكتوراه د. حسين علي طه: ٧٧.

(٣٩) ينظر: القرآن والصورة البيانية: ١٦٩.

(٤٠) ينظر التصوير الفني في القرآن: ٤٧.

(٤١) الكشاف: ٣٢٦/٣.

(٤٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٨، التفسير القرآني للقرآن: ١٠٧٠/١٥، والتحرير والتنوير: ٥٠/٢٩.

(٤٣) ينظر: العين: ٤٢/٦، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ١٣٤٧/٢.

(٤٤) الكشاف: ٢٨٤/١، وإرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكَرِيم: ٢١٥/١.

(٤٥) ينظر: الآيات (النساء: ٨٤، والنحل: ٨١، والإسراء: ٥، والأنبياء: ٨٠، والنمل: ٢٣،

والحديد: ٢٥)

(٤٦) ينظر الآيات (البقرة: ٢٣٣، وآل عمران: ١٣٤، ويوسف: ٨٨، والطلاق: ٦).

(٤٧) ينظر الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن: ٢٩٧.

(٤٨) أرشيف ملتقى أهل التفسير/ http: //tafsir. net .

(٤٩) البلاغة مناهج جامعة المدينة العالمية: ٣٨٥.

(٥٠) تفسير المراغي: ١٣/ ١٣٣.

(٥١) ينظر: التحرير والتنوير: ٦٥/٤، والكناية في القرآن الكريم: ١٣٣.

(٥٢) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية: ٥٥.

(٥٣) الأغاني: ١٠٩/١١.

(٥٤) لسان العرب مادة : ٣٣٢٧/٥.

(٥٥) ينظر: الكناية في القرآن الكريم: ١٣٤.

(٥٦) التفسير الثمين: ٢٣١/٥.

(٥٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٨/١٥.

(٥٨) أرشيف ملتقى أهل التفسير: http: //tafsir. net/

(٥٩) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٧٤/٤، وفي ظلال القرآن: ٣٣٧٤/٤ ، والبلاغة العربية: ٢٨٣/١.

(٦٠) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٢٧٧/١٣، والتفسير الثمين: ٩٧/١٠.

(٦١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣٠/٧.

(٦٢) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣٠/٧، إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكَرِيم: ٢٧٤/٦، والتحرير والتنوير: ٨٣/٨.

(٦٣) العين: ١٨٦/٢.

(٦٤)الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٣٧٢.

(٦٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٩٢/٢.

(٦٦) التفسير الكبير: ٢٥٢/١٤.

(٦٧) التفسير الثمين: ٧١٧/٤.

(٦٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٨٦/٦.

(٦٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٨/٨.

(٧٠) الماء في القرآن الكريم: ١٩٢.

(٧١) في ظلال القرآن: ٣٢٠٢/٥.

(٧٢)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٥٧/٢.

(٧٣)المصدر نفسه: ٢٥٧/٢.

(٧٤) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: : ١٥٥.

(٧٥) ينظر: مُعْتَرَكُ الأقْرَان في إعجازِ القُرآن: ٢٣٢/١.

(٧٦) ينظر: البحر المحيط: ٣٨٨/٩، والتحرير والتنوير: ٢٥٩/٢٦.

(٧٧) التفسير الكبير: ٢٤٢/٢٦.

(٧٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٠/٢٢، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢٦٣/١، والاعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ٢٦٣.

(٧٩) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٤٦٤/٢٣

(٨٠) ينظر: الكشاف: ٦٢٥/٣، والبحر المحيط: ٣٦/٩، ومُعْتَرَكُ الأقْرَان في إعجازِ القُرآن: ٢٩٦/١، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢٦٣/١.

(٨١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٢١/٢٢

المصادر والمراجع

ـ **الإتقان في علوم القُرآن**، لعبدالرحمن بن كمال أبي بكر بن محمد جلال الدِّين السيوطي(ت٩١١ هـ)، ضبط وتصحيح: محمَّد سالم هاشم، دار الكتب العلميَّة، بيروت

ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
ـ **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)، دار المعارف، ط٣.
ـ **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، لعلي بن نايف الشحود.
ـ **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر دار الفكر – بيروت، ط٢.
ـ **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ.
ـ **البرهَان في علوم القُرآن**، لبدر الدِّين محمد بن عبد الله الزَّركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المَعْرِفَة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩١هـ.
ـ **البلاغة**، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
ـ **البلاغة العربية**، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
ـ **البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية**، للدكتور عبدالله محمد سليمان هنداوي، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.
ـ **البيان والتَّبيين**، لأبي عُثمان عَمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تَحقِيقُ وشرح: عبد السَّلام مُحَمَّد هَارُون، مَكْتَبة الخانجي للطِّبَاعَةِ والنَّشْر والتوزيع، مطبعة المدنيّ، القَاهِرَة ـ مِصْر، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
ـ **التصوير الفني في القرآن**، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ط١٧، (د. ت).
ـ **تَفسيرُ ابن كثير المُسَمَّى بتفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.
ـ **تَفسير أبي السعود المسمَّى إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب**، للقاضي أبي

السُّعُود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي(ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرَّحْمَن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لُبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ـ **تَفسير البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

ـ **التفسير البياني للقرآن الكريم**، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ)، دار المعارف – القاهرة، ط٧.

ـ **تفسير البيضاويّ المسمَّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، للقاضي ناصر الدِّين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازيّ البيضاويّ(ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ـ ١٤١٨ هـ.

ـ **تَفسيرُ التَّحرير والتَّنوير**، لمحمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدَّار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

ـ **التفسير الثمين**، للعلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) –رحمه الله – اعتنى به أشرف بن كمال، مجمع البحرين للنشر والتوزيع، مكتبة الطبري للنشر، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

ـ **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، للشيخ العلامة محمد الأمين ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١ م.

ـ **تفسير الشعراوي**، لمحمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د. ت).

ـ **تَفسير الطبريّ المسمَّى جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ(ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

ـ **تَفسير الفخر الرازيّ المشهور بـ(التَفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)**، لفخر الدِّين محمد بن عمر التميمي الرَّازِيّ الشافعيّ(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣

ـ١٤٢٠هـ.

ـ **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

ـ **التفسير القرآني للقرآن**، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

ـ **تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ ـ٢٠٠٣ م.

ـ **تَفسير الكَشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشرِيّ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **تفسير المراغي**، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

ـ **الجامعُ الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، لضياء الدِّين بن الأثير الجزري(ت٦٣٧هـ)، تَحقِيقُ وتعليق: د. مُصْطَفَى جواد، و د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بَغْدَاد، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

ـ **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧.

ـ **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

ـ **دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني** ، الدكتور محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ط١ ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ م .

ـ **دلائلُ الإعجاز**، لعبد القاهر الجُرجَانِيّ (ت ٤٧١هـ)، شرح وتعليق: د. عبد المنعم

خفاجي، دار الجيل، بيروت لُبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ـ **سِرُّ الفصاحة**، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن سعيد بن سنان الخَفَاجِيّ الحَلَبِيّ(ت٤٦٦ هـ)، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيرت لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ـ **الشبكة العنكبوتية، أرشيف ملتقى أهل الحديث، الموقع /http: //tafsir. net.**

ـ **شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون**، لأبي عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، (د. ط)، (د. ت).

ـ **صفوة التَّفاسير**، لمحمد علي الصَّابونيّ، دار الصابونيّ، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

ـ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠هـ – ١٩٨١م.

ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.

ـ **في ظلال القرآن**، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط٧١، ١٤١٢ هـ.

ـ **كتابُ الصِّنَاعَتَينِ(الكتابة والشعر)**، لأبي هلال العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، تَحقِيقُ: علي مُحَمَّد البجاويّ، ومُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العَربي، القَاهِرَة ـ مِصْر، ط٢، ١٩٧١م.

ـ **كتابُ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

ـ **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ط٣ – ١٤١٤ هـ.

ـ **الماء في القرآن الكريم**، لغالب محمد رجا الزعارير، إشراف محمد آدم محمد صدّيق، مكتبة

دار الزمان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م.

ـ **المثلُ السَّائرُ في أدب الكاتب والشَّاعر**، لضياء الدِّين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تَحقِيقُ: د. أحمد الحوفيّ، ود. بدوي طبانة، منشورات دار الرِّفاعي للنشر والطباعة، الرياض ـ المملكة العَرَبِيّة السُّعُوديَّة، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

ـ **مُعْتَرَكُ الأقْرَان في إعجازِ القُرآن**، لعبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدِّين السيوطي(ت٩١١ هـ)، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شَمْس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لُبنان، ط١، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ـ **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط٢: ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

ـ **من بلاغة القرآن**، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، (ت ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥.

ـ **المنهاج الواضح للبلاغة**، لحامد عونى، المكتبة الأزهرية للتراث، (د. ط)، (د. ت).

ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي

بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

ـ **النُّكتُ في إعجازِ القُرآن**، لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني (ت٣٨٦هـ)، ـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القُرآن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مِصْر، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

ـ **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ـ **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، لعبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

الرَّسَائِلُ الجَامِعِيَّةُ:

ـ **أثر البيان القرآني في اختيار القراءات القرآنية المتواترة في كتب توجيه القراءات** ، أطروحة دكتوراه لحسن علي طه، صادرة من جامعة تكريت، كلية التربية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣ م.

ـ **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، لأحمد بن اسماعيل الكوراني وهو أطروحة دكتوراه صادرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم علوم القرآن، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس حققتها الجوهرة بنت محمد العنقري، إشراف الدكتور محمد آل عبدالقادر، ١٤٢٢ـ ١٤٢٣هـ.

ـ **الكنايةُ في القُرآن الكَرِيم**، لأحمد فتحي رمضان، أُطروحة دكتوراه، صادرة من جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ـ **المباحث البلاغية في تفسير الكوراني**، أطروحة دكتوراه، لحسين علي طه، صادرة من جامعة تكريت، كلية التربية، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤ م.